ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

المقاومة الميدانية فعلت وتفعل... ما دور المقاومة المدنية؟

د.عصام نعمان

ابتدعت المقاومة الفلسطينية بقيادة حركة حماس ملحمة طوفان الأقصى، فحققت في فجأتها أعظم حدث ثوري ميداني في تاريخ العرب، وفجّرت وألهمت على مستوى العالم كله أضخم حشود ومسيرات شعبية ضد الظلم والاستبداد والهمجية الصهيونية في التاريخ المعاصر. فعلت ذلك وما زالت تفعل طوال أكثر من ٤٥ يوماً من القتال الضاري المتواصل ليلَ نهار بلا ماء ولا غذاء ولا دواء ولا غطاء جوي، بصبر وصمود منقطعي النظير.

حسناً، ما دور المقاومة المدنية، أيّ مقاومة شعوب الأمة، للعدو الصهيوني العنصري الهمجي خلال هذه الملحمة المستمرة بلا هوادة؟

شاركتُ أخيراً في ندوةٍ تضامنية مع المقاومة تناولت بالبحث ملحمةَ طوفان الأقصى، حاضراً ومستقبلاً، بكل أبعادها فوجدتُ أن المهمة الأهم والأخطر للأمة في هذه المرحلة العصيبة هي ممارسة المقاومة المدنية لدورها الرديف والحصيف في دعم المقاومة الميدانية المتصاعدة. قلتُ للمشاركين في الندوة إن الدور المركزي للمقاومة المدنية في هذه المرحلة هو تصعيد العمل الشعبي بكل أبعاده وميادينه السياسية والاقتصادية والثقافية والأممية.

في الميدان السياسي، أرى أنّ المهمة المحورية الأولى للمقاومة المدنية هي تأجيج التظاهرات والاحتجاجات في كل بلاد العرب تواصلاً وتكاملاً مع مثيلاتها في كل بلاد العالم. ولعل الفائدة المرجوة من هذه التحركات الشعبية تتحصل بالتركيز على الأجيال الشابة المبرّئة من أمراض الفساد والعصبيات الفئوية، والمترعة غالباً بمشاعر الغضب الساطع ضد أهل السلطة من ذوي الضمائر العفنة والمعطّلة والمعادية لحقوق المرأة والطفولة وذوي الحاجات الخاصة وبالتالي إزاء ضرورة الكشف والتنديد العاجلين بالممارسات الوحشية للعدو الصهيوني في قطاع غزة وضفة فلسطين الغربية.

في هذا السياق، يقتضي ان يكون المطلب الأول للمتظاهرين والمحتجين الضغط على "إسرائيل" لوقف حربها الوحشية فوراً على قطاع غزة وفتح جميع المعابر لتسهيل وصول المساعدات الإنسانية، ولا سيما المستلزمات الطبية والغذاء والدواء والوقود.

إلى ذلك، أرى أنّ قيادات العمل الشعبي في بلاد العرب، ولا سيما في البُلدان المحيطة

بفلسطين المحتلة، مطالَبون بتطوير عملاني للتظاهرات والاحتجاجات فلا تبقى في معظمها، كما هي اليوم، ذات طابع احتفالي ولفظي قوامه هتافات وشعارات ولافتات في مسيرات وخطابات في اجتماعات، بل يقتضي أن تتجاوز هذا الطابع التقليدي المحدود الفعالية الى مقاربات عملانية كأن يقوم المتظاهرون والمحتجون بمحاصرة مقار ومنازل الحاكمين المتهاونين في صون الأمن القومي محليّاً وفي نصرة قضية فلسطين والمقاومة الصاعدة عربياً وعالمياً، وبفضح المتواطئين والمتحالفين مع العدو الصهيوني الممعن في ارتكاب المجازر والمحارق، كذلك بمحاصرة مقار ومنازل سفراء الدول المتواطئة والمتحالفة مع الكيان العنصري المحتلّ، وعدم فك الحصار عنهم إلاّ بعد استجابتهم لمطالب المحتجين أو قطع العلاقات الديبلوماسية مع الدول المتواطئة والمتحالفة مع العدو. كلّ ما سبق بيانه من حصارات واعتصامات يجب أن يجري ويتمّ بشكلٍ سلمي لاعنفي اقتداءً بممارسات قادة ملهمين في هذا المجال كغاندي (الهند) ومارتن لوثر كينغ (الولايات المتحدة) ومانديلاّ (جنوب أفريقيا) القائل: "نحن لسنا أحراراً طالما فلسطين غير حرّة".

في الميدان الاقتصادي – الاجتماعي، أرى أن يحرص قادة العمل الشعبي في الدول العربية على إعداد قوائم بالسلع والبضائع والأجهزة المصنّعة في دولٍ وشركات متواطئة ومتعاونة مع العدو او داعمة له مالياً، ودعوة الشعب الى مقاطعة كل هذه المنتوجات.

لعلّ غالبية شعبنا تجهل أنّ ثمة شركات أجنبية عملاقة تنتج سلعاً وأجهزة ومواد غذائية فائقة الشهرة والرواج وتقوم مباشرةً بتقديم دعم مالي سنوي للعدو الصهيوني بالإضافة الى تلك المساعدات المالية الضخمة التي تقدمها له الدول المتواطئة التي تحمل تلك الشركات جنسيتها. الى ذلك، يُستحسن ان تضع هيئات العمل الشعبي قوائم بالسلع والبضائع والأجهزة المصنّعة وطنياً ومحلياً التي تشكّل بدائل معادلة أو متناسبة مع تلك المصنّعة في الدول المعادية والمتواطئة مع العدو الصهيوني. بذلك يؤدّي قادة العمل الشعبي خدمة جلّى للاقتصاد الوطني الذي يعاني حالياً من تواطؤ بعض الحاكمين مع الشركات الأجنبية الداعمة بسخاء للعدو الصهيوني.

غير أنّ الخدمة الأكبر والأجدى التي بمقدور أهل الفكر والعلم والاختصاص والخبرة تقديمها الى الأمة وفلسطين والمقاومة والاقتصاد الوطني في معظم البُلدان العربية هي كشف الدول العربية النفطية التي يقوم زعماؤها النافذون بتسهيل توظيف فوائضها المالية الضخمة في حقولٍ ومجالات اقتصادية لدولٍ متواطئة ومتعاونة وداعمة مالياً للعدو الصهيوني. إن كشف هذه الوقائع والتجاوزات من شأنه مساعدة القوى الوطنية في الدول النفطية على ممارسة الضغوط اللازمة لإلغاء، أو في الأقل، لعدم تمديد آجال تلك التوظيفات المالية الضخمة في دول معادية او متواطئة او متعاونة مع العدو الصهيوني، وإعادة توظيفها تالياً في دول عربية او صديقة.

في الميدان الثقافي، يستطيع أهل الثقافة، أفراداً وهيئات، وضع الدراسات والمخططات والبرامج التي من شأنها خدمة قضايا تحرير الأمة وفلسطين ودعم المقاومة وتعميق وعي الأجيال الشابة بالتحديات السياسية والأمنية التي تواجهها، كما تعميق الوعي وتشديد المطالبة بالتنسيق والتعاون بين القوى الوطنية الحيّة في بلادنا من جهة ومع القوى المنادية بالحرية وحقوق الإنسان والعدالة في العالم من جهة أخرى. في هذا المجال، يمكن تفعيل العمل في مؤسسات المؤتمر العربي العام الذي يضمّ أحزاباً وهيئات وطلائع ناشطة في سبيل الحرية والوحدة والنهضة على مستوى الأمة كلها كما في مختلف أقطارها. ولعلّ أهمّ ما تستطيع أطراف المؤتمر العربي العام ومؤسساته القيام به هو التواصل مع القوى والتنظيمات العاملة في سبيل الحرية والعدالة والدفاع عن حقوق الإنسان في شتى دول العالم من أجل عقد مؤتمر عالمي جامع يتولى فضح تواطؤ دول الغرب الأطلسي مع الكيان الصهيوني ودعمه في وجه قوى المقاومة الفلسطينية والعربية ما يستوجب العمل مجدّداً لإعادة تثبيت واعتماد المعادلة القائلة بأنّ الصهيونية حركة مرادفة للنازية والتطهير العرقي والتمييز العنصري، وبناء جبهة أممية على مستوى العالم لمواجهة هذه الظاهرة الفاشية المناهضة لحقوق الإنسان وحق تقرير المصير.

بكلمة، ثمّة تحديات جمّة وخطيرة تواجه الفلسطينيين وسائر العرب والمكافحين من أجل الحرية والعدالة وحقوق الإنسان في العالم ما يستوجب النهوض الى مواجهتها محليّاً وعربياً وعالمياً بلا إبطاء وبلا هوادة.

عملية أنصار الله تربط حرب غزة بالأمن الدولي

ناصر قنديل

رغم كل الضجيج الهادف لإحراج محور المقاومة بالسؤال عن دوره في حرب غزة، فقد مضى المحور بخطواته، كما رسمها لربط أمن غزة والحرب عليها، بالأمن الإقليميّ ثم بالأمن الدوليّ، وفيما كانت مشاركة حزب الله عبر جبهة لبنان على صلة مباشرة بتوازنات الحرب وآليات التحكم بمساراتها، وفتح الطريق واحتمالاتها المفتوحة، فإن ما فعلته المقاومة العراقيّة كان ربط حرب غزة بالأمن الإقليمي، عبر فتح ملف القواعد الأميركية في سورية والعراق من بوابة الردّ على الدعم الأميركي لكيان الاحتلال، ورسم معادلة وقف العمليّات رهناً بوقف العدوان، لكن الأميركي الذي يُدير الحرب على غزة يتلقى الرسالة ومضمونها أن التفاوض على صيغة وقف الحرب على غزة بات مرتبطاً بالتفاوض على مستقبل الوجود العسكري الأميركي في سورية والعراق.

قام أنصار الله منذ الأيام الأولى للحرب على غزة بإعلان موقف الانخراط في الحرب، وترجمته بعد مظاهرات شعبية حاشدة بإطلاق طائرات مسيّرة وصواريخ بالستية نحو أهداف إسرائيلية كان الأميركيّون مَن كشف عنها، بالإشارة إلى اعتراضها من المدمّرات الأميركية، ما جعل الأميركي شريكاً في معادلة اليمن و«إسرائيل»، ثم قامت واشنطن باستنفار حلفائها العرب، خصوصاً مصر والسعودية للقيام بمهمة اعتراض الصواريخ والمسيّرات اليمنية، فجعلهم شركاء في معادلة اليمن و«إسرائيل»، وهكذا تبلور المشهد، أن معادلة اليمن و«إسرائيل» صارت جزءاً من الأمن الدولي والإقليمي وأمن الطاقة. فاليمن بسبب التعقيدات التي تعترض صواريخه مجبَّر على رفع المعادلة

إلى مرتبة أعلى، وهو لا يبادر لتصعيد بوجه السعودية بربط ممرات النفط بالحرب على غزة، وقد بادرت السعودية لاعتراض الصواريخ اليمنيّة، وهو لا يبادر إلى التصعيد بوجه مصر بربط نشاط قناة السويس بالحرب على غزة، وقد بادرت مصر لاعتراض الصواريخ اليمنية.

ذهب اليمن إلى احتجاز باخرة «إسرائيلية» في باب المندب بعدما أعلن السيد عبد الملك الحوثي العزم على فعل ذلك، والعملية التي تمّ تنفيذها باقتدار وحرفيّة، تعني أن مصير الممرّ المائي الأشدّ أهميّة في المنطقة، أصبح مرتبطاً بقوة بمصير الحرب على غزة. فالقضيّة ليست قضية سفينة إسرائيلية، بل قضيّة الإشارة الى إقفال الممرّ المائيّ الأهم أمام الملاحة الدولية وأمن الطاقة. فمن باب المندب تعبر كل تجارة الصين والهند إلى البحر المتوسط، وخصوصاً إلى أوروبا، ومن باب المندب يعبر النفط والغاز العربيان الى أوروبا بعد توقف موارد الطاقة الروسية. وما جرى بالباخرة الإسرائيلية كافٍ لدب الذعر في الأسواق التجارية، وفي شركات التأمين، وفتح الباب لتوقعات قاتمة حول فرص المرور عبر هذا الممر الحساس، ما لم يتمّ التوصل للتفاهم مع أنصار الله، وشرط التفاهم الوحيد وقف العدوان على غزة.

الإسرائيلي أعجز من أن يتولى معالجة الملف المستجدّ، فتلك مهمة الأميركي، والأميركي لا يريد التورط في المزيد من الحروب الفاشلة، فماذا سيفعل بالردع الذي قال إنه جاء به إلى المنطقة لمنع توسيع نطاق الحرب. وها هي تتوسّع فيسقط الردع حكماً، والأميركي يواجه وضعاً لا يُحسَد عليه، من انقسام حادّ داخلياً ينتج غالبية مؤيّدة للحق الفلسطيني، فلا يبقى أمام الأميركي إلا.

«الميادين»... انتصار الصورة على «السيف» الصهيوني

نظام مارديني

لِمَ تخشى «إسرائيل» انتصار الصورة في غزة إلى هذه الدرجة؟

سؤال وجيه يطرحه كلّ عاقل وباحث عن الحقائق أمام نفسه، لأنّ الصورة تظلّ تحفر عميقاً في الوجدان أرَدنا أم لم نرد.

جاهل مَن ينكر دور الإعلام في العدوان الأميركي/ الصهيوني الذي يشنّ على غزة والضفة الغربية، إنْ لم نقل إنه من أساسات العدوان على الفلسطينيين من خلال الفبركات والكذب و«شيطنة» المقاومة، والشحن المفرط الذي أجّج التعاطف مع الكيان الصهيوني في بدايات هذا العدوان، كما في تأليب الرأي العام العربي خدمة لهوى دول أجنبية، ولكن سرعان ما تهاوى هذا التعاطف وانقلب سحر حقائق الصورة على خبث ودجل الساحر الصهيوني.

ندرك حقيقة أنّ الإعلام في كثير من الأمكنة لا يمكن بأية حال أن تنعتق يدا حريته وقدماه بشكل مطلق وكامل من ثالوث أثافي المال والعقيدة السياسية وقبضة المصالح، ولكن رغم كلّ ذلك يظلّ بحثنا عن الإعلام المتوازن في حريته حقاً مشروعاً لنا لا ينبغي أن تُقعدنا دونه فرضية الاستسلام لقيود الإعلام المعادي الذي افتقر إلى الحدّ الأدنى من الأخلاق ومن معقولية الطرح ومسؤولية البحث التي لا تحتمل مسايرة، وكانت «الميادين» الضوء الذي امتدّ في أصقاع العالم متجاوزاً المطبات التي وضعت أمام نقل الصورة الحقيقية وبوجوه لا ترتدي الأقنعة الخادعة، بل تعارض ما يسلم به الجمهور الغربي، الواقع تحت وطأة التدفق الهائل والمتزايد لصور الزيف الصهيوني عبر وسائل الإعلام المختلفة، غربية وعربية، والحكمة القديمة تقول «من رأى ليس كمن سمع» إشارة إلى أهمية الصورة ودورها التأثيري الكبير في وجدان الجمهور.

فمنذ بدايات القرن الماضي كانت صورة «العربيّ» مادة تهريجية كاريكاتيرية «بما يستلزمه الكاريكاتير من تضخيم في الملامح». كانت المتعة لا تكتمل إلا حين يحضر العربيّ على هذه الشاكلة حتى غدتْ نمطاً مهيمناً. لكنْ هذه المتعة المنمّطة فعلتْ فعلها وأوصلت رسالتها تامة غير منقوصة إلى أن ركزتْ في نفس الغربيّ صورة العربيّ الجبان الحقود كثير المال والذي يكره الآخر.

نظرة الغربيّ إلى العرب أسّست هكذا، وظلتْ هي النسخة الوحيدة التي يملكها المواطن الغربيّ عن حقيقة العربيّ إلى أن أتت ثورة الاتصالات فصار متاحاً للوجوه أن تتقابل بلمح البرق من دون حاجة إلى وسيط يحرف الحقائق بجمال فائق!

القضايا الكبرى كقضية فلسطين وصلت إلى الغربيّ مشوّهة، عن طريق الصورة أولاً وبشكل مؤكد عن طريق السينما على يد مخرجين يعرفون صياغة مشهد جميل لكنهم شهود زور في ما يتعلق بالرسائل التي يبثونها.

وإذا قيل يوماً ما بأنّ في كلّ واقعةٍ ثلاثة أمور: روايتك وروايتي والحقيقة، فإنّ قضية فلسطين لم تكن لها رواية عالمية سوى الرواية الغربية التي صيغتْ لتكون بدلاً عن رواية الحقيقة.

العالم مصاب بالصدمة مما يحدث اليوم من مجازر في غزة على يد المحتلّ الصهيونيّ المتوحش، لأنه يرى بعضاً من الحقيقة التي تركها حين اكتفى بقصة مكذوبة ولكن سرعان ما تغيّرت روايته وكان لقناة «الميادين» دورٌ أساسيٌ في بث الحقائق ما استدعى اجتماعاً لـ «الكابينت» الصهيوني بهدف استصدار قرار يمنع هذه القناة المقاومة من بث حقيقة الوقائع في فلسطين المحتلة.

كلّ الشاشات المعادية، كلّ الصحف المعادية، كلّ الإذاعات المعادية، كانت تحثّ على دخول الجيش الصهيوني «الاحتفالي» إلى غزة بهدف جعل وهم انتصار العدو حقيقة، في ما كانت «الميادين» المقاومة بمراسليها ومحللينها تقدّم صوراً معاكسة لما يقدّمه الإعلام المعادي،

ففي حين كانت صور «الميادين» تنقل وقائع الإجرام الصهيوني ضدّ المدنيين من الفلسطينيين، كانت أيضاً تقدّم صورةً ناصعة وحقيقيةً لبطولات المقاومة وشراستها في مواجهة قوات الاحتلال التي دخلت غزة من محاور متعددة، وقد بات «الصهاينة يحفرون قبورهم بأيديهم عند تقدّمهم إلى كلّ مترٍ في غزّة» بحسب قول مساعد قائد الثورة الإيرانية، العميد محمد رضى نقدي.

يُراد لهذا العدوان الصهيوني/ الأميركي ومن خلال الإعلام المفبرك أن يُعاد تركيبه الآن لتظلّ «تل أبيب» قبلة «الشرق الأوسط» عند المطبّعين معها من العرب، ولكن كيف للجندي الصهيوني الممنوع عليه الخروج من الدبابات في الكثير من المواقع، وقد دعمته قيادته بمجموعة حفاضات للاستعمال داخل الدبابة.. كيف له أن يكون قبلة «الشرق الأوسط»؟

اليوم تنتصر صورة «الميادين» على سيف العدوان الصهيوني الأميركي، وهي تشير إلى أهمية الإعلام المقاوم ودوره ورسالته السامية في بث الحقائق وإيصالها إلى العالم بخاصة العالم العربي. وشكلت «الميادين» نموذجاً حياً ورائداً في خلق هذا التوازن المؤثر في ساحة فلسطين، وسابقاً في ساحات العراق وسورية واليمن ولبنان.. وصولاً إلى البحرين، ومصر وليبيا، رغم التشويش الذي تتعرّض له، عبر ملاحقتها وتشويه رسالتها المقاومة الوطنية.

أهمية «الميادين» انها أخرجت إعلامها من الغرف المقفلة ومن المفاهيم المقفلة، وهي تدرك الآن أنها أمام زمن آخر يحتاج فيه عالمنا العربي إلى إعلام موضوعي يواكب الحدث بكلمة الحقيقة والصورة المباشرة التي تؤكد أنّ الحقيقة هنا هي «وجود ومعرفة».

الإعلام الصهيوني المعادي الضالع في الكوميديا، وفي التراجيديا، لا يزال يهلل للاستيلاء على تلة، أو على قرية، أو على انتصار واهم على المقاومة.. حتى أنّ البعض من العرب ينتظر أن يوزع الحلوى على المارة، وبتلك الفوقية وبتلك الميكيافيلية احتفالاً بتصفية «حماس».. ولكن ماذا يعني حين تسقط هذه الهياكل العظمية التي رأينا صورها في محرقة الإعلام وفي محرقة الخيانة المتواطئة ضدّ كلّ بيت فلسطيني، ضدّ كلّ جدول ماء، ضدّ كلّ حديقة، ضدّ كلّ مصنع ومشفى، ضدّ كلّ جامعة، ضدّ كلّ كائن بشري.. كاد هذا الإعلام أن يفوز ليعلن أنّ فلسطين/ الدولة ذاهبة الى «ليلة العدم»، لولا أنّ «الميادين» وبما ملكته من رصيد أخلاقي ووطني لكان الإعلام المعادي حوّلنا إلى مستودعات للغيب.. كما الى مستودعات للغياب؟

لا يمكن رؤية أثر العدوان الكوني القائم على فلسطين إلا من خلال النظر إلى دور الإعلام المعادي وطابوره الخامس في بث الاكاذيب والدعايات، التي اشترك فيها إعلاميون ومثقفون عرب، للإيحاء بانتصارات وهمية على المقاومة في معارك غزة. ومَن تابع بعض الفضائيات يدرك دور الإعلام الأسود المتابع لهذه المواجهة المقدسة التي تخوضها المقاومة ضدّ العدو الصهيوني/ الأميركي..

هنا كلام لـ «إسرائيل»، وكلام لـ «قنوات عدوة» إضافي، كذبة وكذبة إضافية، قنبلة وقنبلة إضافية، كما لو أنّ هذا الإعلام لا يكون إلا وسيلة اتصال بين المستنقع والمستنقع، في حين نرى لعبة الأفكار في الإعلام المقابل على تواضعه تأخذ المنحى الآخر الذي يُعنى بإعادة ترميم القوة البشرية، وهي كادت أن تتعرّض بفعل العدوان، للاهتزاز إنْ لم نقل لمحاولة تفكيك، ولكنها لن تنجح.

أحدهم لاحظ كيف يتمّ تعذيب اللغة الإعلامية بالصدمات الكهربائية.. الذين يعشقون اللغة بإيقاعها الفذّ وبمحتواها المترامي، لا يغتصبون الكلام بتلك الوقاحة الصهيونية، بل وبذلك الإرهاب العالمي الذي لم يأخذ بالاعتبار أنّ فلسطين لا تزال رزمة واحدة، كلما كانت الزلازل تحيط بها من كلّ حدب وصوب، وما دام الفلسطينيون يرفضون أن يُعاملوا على أنهم مجرد حقول من الاسفنج!

إذاً هي دعوة إلى الإعلاميين، والمثقفين، وإلى كلّ مَن يشعر بأنّ الفضيحة الراهنة تحطّم كلّ ما بقي لهم من أخلاق.. ولكن هل بقيَ لديهم أخلاق بعض الإعلاميين العرب الذين يؤسّسون لكارثة قد تطرق ابوابهم في أيّ لحظة؟ وهل تعي الشعوب العربية مسؤولياتها، ويشكلون جبهة موحدة ضدّ من يستخرجون من جدران المقابر كلّ تلك البلاغة ويلقونها في وجوههم؟

لا.. ولنقل للارهاب الاعلامي إنّ «الميادين» ستبقى في كافة الميادين ولن تسكت، لأنّ سكوتها هو الوجه الآخر للهزيمة، ومن اعتبر نفسه منتصراً في الإعلام المعادي لن يجد امامه سوى أصابعه المحترقة.. وجثث جيش الاحتلال ومستوطنيه.

لعبة الدومينو حين تمضي في هذا الإيقاع الإعلامي المجنون لن تتوقف إلا بعد ان تعلن المقاومة الفلسطينية في بياناتها المقبلة دحر العدوان عن أسوار غزة وقلعتها وأهلها الجبارين.

هل نخطئ عندما نصف معارك غزة بين المقاومين والمحتلّ بأنها مماثلة لمعركة ستالينغراد التي غيّرت مصير الحرب العالمية الثانية؟